سُورَةُ الفَلَقِ

عرض ودراسة

تصوِّر هذه السورة القصيرة الاعتصام بإله الوجود من كل شر مبثوث فيه ظاهر وباطن أو واضح وغير واضح ، شرجميع المخلوقات إنساناً وغير إنسان ونفساً وغير نفس ، وشر الزمان وكل ما يستتر بظلمات لياليه ، وشر كل إيذاء فى الخفاء يؤدى إلى فساد أو إضرار أو افتتان ، وشر الحسد وكل ما يتصل به من سوء ومكروه .

(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) :

يأمر الله رسوله تلطفاً أن يعوذ به ، أى يلتجئ إليه ويعتصم بفضل ربوبيته من كل شر ، فمعنى (أعوذ) أتحرَّز وألوذ بالرب المربى الراعى الكافل العباد الحافظ لأمورهم وشئونهم الكالئ لهم بالليل والنهار من كل الآفات الدافع عنهم كل المضرات . و (الفلق) قيل الصُّبْح اهتداء بقوله تعالى فى سورة الأنعام : (فَالِقُ الإِصْبَاحِ وجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا) . وأصل معنى الفلق الشق . وكأن الله جلَّ شأنه ذكر الصبح فى أول آية وتلاه بالليل الغاسق فى الآية الثالثة من السورة ، على نحو ما اجتمع الإصباح والليل فى آية الأنعام ، فهو الذى يفتق الصباح من الآفاق وينشر الأضواء فتكتسح الظلام على نحو ما يرسل جنود الخير فى الوجود فتكتسح الشرور وكل قواها المنبثة حول الإنسان . وقيل (الفلق) الخلق والوجود كله ، فقد كان مستوراً فى ظلمة العدم وفلقه الله منها بالتكوين والإيحاء ، على نحو ما تصوِّر ذلك آيتا سورة الأنعام : (إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ

الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ ، ومُخْرِجُ المَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذٰلِكُمُ الله فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ فَالِقُ الإِصْبَاحِ وجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) ، فهو يشقُّ الحبَّة اليابسة فتنفلق عن النبات الأخضر النامى ويشقُّ النَّوَاة اليابسَة فتنفلق عن الشجرة الكبيرة النامية ، بل إنه يُخْرج ما ينمو من الحيوانات والنباتات مما لا ينمو ، كما يخرج مالا ينمو مما ينمو . وإنه ليشق الإصباح من ظلمة الليل المنسدلة على الآفاق ، ويصرِّف الليل والنهار والشمس والقمر ، كل يسير بحساب مقدَّر فلا يختلُّ ولا يضطرب بل يجرى إلى غايته . وبذلك انتظم الوجود وانتظمت حياة الإنسان، بفضل خالق الكون وموجده ملجأ المتعوِّذين وحصن المعتصمين . وهذا التعميم فى معنى الفلق أكثر التئاماً مع سياق الآيات فى السورة ، فالله صانع الكون ومخلوقاته ، وكل شئونه بيده ، يصرِّفها كيف شاء ، وهو بذلك أهل لأن يستعاذ به من كل الشرور والسيئات المكتنَّة فى الوجود. وذكر الألوسى أن ابن سينا اختار هذا المعنى العام لكلمة الفلق ، وأن المراد نور الوجود المفلوق عن ظلمة العدم وأنه مضى يقول : « إن فِى ذِكْرِ الرب سِرًّا لطيفاً من حَقائق العلم » ، وذلك أن المربوب لا يستغنى فى شىء من حالاته عن الربِّ ، كما يُشَاهَدُ فى الطفل ما دام مربوباً ، ولما كانت الماهيات الممكنة غير مستغنية عن إفاضة المبدأ الأول (يريد الله) لا جرم ذكر لفظ الرب للإشارة إلى ذلك . وفيه إشارة أخرى من خفيات العلوم وهو أن العوذ والعياذ فى اللغة عبارة عن الالتجاء إلى الغير ، فلما أمر بمجرد الالتجاء إلى الغير وعبَّر عنه بالرَّبِّ دَلَّ ذلك على أن عدم الحصول ليس لأمر يرجع إلى المستعاذ به (أى الله) المفيض للخيرات ، بل لأمر يرجع إلى قابلها (أى الإنسان) فإن

من المقرر أنه ليس شيء من الكمالات وغيرها مبخولا به من جانب المبدأ الأول سبحانه ، بل الكل حاصل موقوف على أن يَصْرف المستعد جهة قبوله إليه ، وهو المعنيّ بالحديث النبوى : إن لربكم فى أيام دهركم نفحات من رحمته ، ألا فتعرَّضوا لها ، وقد بيَّن الرسول أن نفحات الألطاف دائمة وإنما الخلل من المستعد » . وقيل (الفلق) واد فى جهنم أو بئر فيها أو بيت من بيوتها أو اسم لها أو شجرة من أشجارها ، ورفض ابن تيمية فى تفسير السورة كل هذه الأقوال قائلا : « هذا أمر لا تُعْرَف صحته لا بدلالة الاسم عليه ولا بنقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا فى تخصيص ربوبيته بذلك حكمة بخلاف ما إذا قال (القائل) رب الخلق أو رب كل ما انفلق أو رب النور الذى يظهره على العباد بالنهار ، فإن فى تخصيص هذا بالذكر ما يظهر عظمة الرب المستعاذ به ، وإذا قيل الفلق يعمّ ويخصّ ، فبعمومه للخلق أستعيذ (من شَرِّ مَا خَلَق) وبخصوصه للنور النهارى أستعيذ من (شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ) فإن الغاسق قد فُسِّر بالليل » . وواضح أن ابن تيمية لا يرتضى فى تفسير الفلق سوى المعنيين الأولين إما المعنى العام وهو رب الخلق والوجود كله ويراه ملائماً للآية التالية مباشرة ، وإما المعنى الخاص وهو الصبح وضوء النهار ويراه ملائماً لآية الغاسق أو الليل المظلم . وفى الأمر بالاستعاذة برب الوجود أو رب النور المنفتق من الظلام ما يشير بوضوح إلى عِدةٍ كريمة من الله للعائذ به أن ينجيه من كل شر ومن كل أذًى وضرٍّ .

(مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ) :

الشر نقيض الخير ، وهو كل ما يسبب مضرة ، وقال ابن قَيِّم الجوزية فى تفسيره للسورة : «الشر يقال على شيئين : على الألم وعلى ما يفضى إليه» فالألم كالمرض والحرق والغرق ، وما يفضى إليه كالكفر والاعتقادات الباطلة التى تفضى إلى العذاب ، ومثل الموبقات وضروب الخطيئات فإن صاحبها أو مقترفها قد يجد فيها لذة ولكنها تنتهى به إلى العذاب ، فهى بمنزلة طعام لذيذ شهى ، لكنه مسموم ، يُسيغه آكله ويجد فيه لذة ، وسرعان ما يقضى عليه قضاءً مبرماً . وقال ابن قيم الجوزية أيضاً : «الشر المستعاذ منه نوعان : أحدهما موجود يُطْلَبُ رفعه ، والثانى معدوم يُطْلَبُ بقاؤه على العدم وألا يوجد» وقد جُمع الشَّرَّان فى قوله عليه السلام : «نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا» ، فشرور النفس معدومة ، غير أنها فيها بالقوة ، ولذلك يسأل الرسول دفعها وأن لا توجد. أما الأعمال السيئة فقد وجدت ويسأل رفعها ، وبذلك استعاذ من حصول الألم وما يفضى إليه من العقوبات . والشر يحدث إما بفعل الإنسان وقصده وهواه ، وتدخل فى ذلك جميع المعاصى والذنوب ، وإما بفعل غيره من الإنسان نظيره أو من الحيوان أو من الهوام اللادغة أو من الرياح أو النار أو السموم أو الصواعق أو أى نوع من أنواع الآلام والبلاء . ويلاحظ ابن قيم الجوزية أن الله أضاف الشر فى الآية إلى المخلوقات ، فهو لا يتصل بخلقه ، فخلقه تنزه وتعالى عن كل شر ، إنما يتصل بمخلوقاته ، واتصاله بها أمر نسبى إضافى ، إذ الله لا يخلق إلا الخير ، فكل مخلوق خير من جهة

خَلْق الله وتكوينه ، وما فيه من شر إنما هو من حيث نسبته إلى من يقع عليه شره ، فَخَلْق الأسد مثلا أو خلق الأفعى له وجهان أحدهما خير ، وهو الوجه الذى ينسب فيه إلى الله خلقاً وتكويناً ومشيئة وتقديرًا لما فيه من الحكمة البالغة التى استأثر الله بعلمها ، والثانى شر وهو الوجه الذى ينسب فيه إلى من يقع عليه شره . ويوضح الفكرة ابن قيم الجوزية بالسارق إذا قُطعت يده ، فقطعها شر بالنسبة إليه وخير محض بالنسبة إلى الجماعة لما فيه من دفع الضرر عنهم . وبالمثل عقوبة الله من يستحق العقوبة من عباده فى الآخرة فإن ذلك خير محض لما فيه من العدل والحكمة ، وهو شر بالنسبة إليهم ، فالشر وقع فى تعلقه بهم لا فى فعله القائم به جلَّ شأنه ، ففعله صادر عن العدالة المطلقة ، وفى ذلك يقول فى سورة صٓ : (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِى الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) . وهو إنكار على من يخالف ما استقر فى الفطرة الإنسانية والعقول السليمة ، فيطالب الله بأن يضع الرحمة والإكرام موضع العقوبة والانتقام ، تعالى الله عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا . والاستعاذة من الشر تشمل شر كل مخلوق فيه شر وكل شر فى الاخرة كعذاب النار ، ومعروف أن من المخلوقات ما ليس فيه شر ولا ما يتصل بالشر كالأنبياء والملائكة والجنة ونعيمها الخالد . ومما لا ريب فيه أن الشر يتدخل فى عالمنا حتى ليصبح جزءًا لا يتجزأ منه ، وكأنما يتكون من جوهرين متضادين هما الخير والشر ، ولو كان خيرًا محضاً أو شرًّا صرفاً لبطل نظامه ، ولبطلت الحاجة إلى العقول ، إذ لا يكون هناك ما يدعو إلى تفكير ولا إلى تفرقة بين ضار ونافع ومولم وممتع ومكروه ومحبوب وباطل وحق وجهل وعلم ووحشة

وأنس ، وإذن لما كانت هناك حضارة ولا مدنية ، إذ هما من ثمار العقول ، وهى بدورها من ثمار اجتلاب المنافع ودفع الشرور . وكأن العالم لا يصلح إلا على الشر والخير ، وبذلك يصبح الشر خيرًا بقياس آخر غير قياس ابن قيم الجوزية السابق ، وكأنه سم يتداوى به ، حتى تستكمل الحياة الإنسانية معانيها ، بما أتيح لها من عقول تحرسها من الشرور ، وتتم لها نعمة الرقى والنهوض طورا بعد طور .

(وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ) :

الغاسق الليل المظلم من الغَسق وهو الظلمة ، ومنه قوله جَلَّ ذكره فى سورة الإسراء : (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) . ودلوك الشمس ميلها إلى الغرب بعد الزوال . ويقال إن أصل معنى الغسق الامتلاء سميت به الظلمة لأنها تملأ الآفاق . و (وَقَبَ) من الوَقْب وهو النقرة فى الصخرة يجتمع فيها الماء ، ومنه يقال وقب الماء إذا دخل فى وقب ، ومن ذلك وقبت الشمس إذا غابت ووقب الظلام إذا دخل ، والمعنى : ومن شر ليل داجٍ غطّى ظلامه كل شىء . وتقييد الشر به لأنه يكون حينئذ موحشاً مخوف الجوانب من الهوامّ والسباع ومما قد يرصد الإنسان فيه من أعداء . وحدوث الشر عادة فيه أكثر ، ولذلك قالوا « الليل أخفى لِلْويل » وقالوا « الليل أخفى والنهار أفضح » فالليل أستر وأحرى أن يتم فيه الشر ، ولذلك كان اللصوص يسرحون فيه ؛ ويقال إن سباع الوحوش إنما تهيج وتلتمس المعيشة وتتلاقى ليلا . وأسند الله الشر إلى الليل لحدوثه فيه وملابسته له . وقيل الغاسق الليل

البارد من الغسق بمعنى البرد ، ومنه قوله جَلَّ ثناؤه فى سورة ص : (هٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ) على قول من فسَّر الغَسَّاق بأنه الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرقهم الجحيم بنارها . ولا تعارض بين هذا القول وسابقه ، فإن الليل بارد ومظلم ولكن الأنسب الظلمة لأنها هى المخوفة التى يستعاذ من شرها ، أما برودة الليل فليست شرًّا إذ قد تعين على النوم فيه وبخاصة فى البلاد الحارة . وقيل الغاسق القمر لما جاء فى سنن الترمذى عن السيدة عائشة رضى الله عنها أن الرسول صلى الله عليه وسلم نظر إلى القمر ثم قال لها : «يا عائشة استعيذى بالله من شر هذا فإن هذا هو الغاسق إذا وقب » . وقال ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية جميعاً إن هذا الحديث لا يناقض التفسير الأول بل يوافقه ويشهد بصحته فإن الله تعالى قال فى سورة الإسراء : (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً) فالقمر آية الليل ودليله ، والدليل مستلزم للمدلول ، فإذا كان شر القمر موجودًا يكون شر الليل أيضاً موجودًا ، وتخصيص الرسول القمر بالذكر لا ينفى شمول الغاسق لغيره ، فالقمر والليل جميعاً كلاهما غاسق ، وشر القمر ما قد يحدث منه فى الأبدان من الآفات أو ما قد يحدث من افتتان بعض الناس به وعبادته على نحو من كان يعبده من العرب . وقيل الغاسق الواقب هو القمر فى خسوفه وما يغشاه من سواد ، وهو قول ضعيف ويزيده ضعفاً أن الرسول عليه السلام لما أشار إلى القمر فى حديث السيدة عائشة لم يشر إليه فى خسوفه بل مع ظهوره . وهناك أقوال أخرى أكثر ضعفاً ، منها أن الغاسق القمر لأن جرمه مظلم وضوءه من الشمس ، ووقوبه محاقه فى آخر الشهر وفيه يكثر النحس والشؤم ، ومنها أن الغاسق الثريا

إذا سقطت فإن الأسقام تكثر عند سقوطها وغروبها وإذا طلعت ارتفع ذلك ، ومنها أن الغاسق الحية إذا لدغت وكأن الغاسق نابها لأن السم يغسق منه أى يسيل ووقب نابها دخل فى اللديغ ، ومنها أن الغاسق كل هاجم يضرّ كائناً ما كان أو هو كل شر يعترى الإنسان . وأصح الأقوال وأولاها بالقبول أن الغاسق هو الليل الداجى الذى يتكاثر فيه الشر بخروج السباع من آجامها وغاباتها وخروج الهوام من أماكنها وكهوفها وانبعاث أهل الشر على العبث والفساد فى الأرض من كل لص وكل قاطع طريق وكل مرتكب فسوق أو فحش خبيث .

(وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِى الْعُقَدِ) :

أخذ بعض المفسرين بظاهر هذه الآية الكريمة ، فقال : (النَّفَّاثَاتِ فِى الْعُقَدِ) هن الساحرات اللائى ينفثن أو ينفخن فى عُقَد خَيْطٍ حين يَرْقين عليها مَنْ يُرِدْنَ إيذاءه . ومعروف أن السحر تمويه بالتخاييل كمن يرى السراب من بعيد فيظنه ماءً ، أو كراكب القطار السائر إذا نَظر من إحدى نوافذه وهو جالس فيه خُيِّلَ إليه أن الأشجار تسير فى اتجاه مخالف لسيره . واختلف الأسلاف أله حقيقة أم لا ؟ وذهب المعتزلة وأبو إسحق الإسترابادى من أصحاب الإمام الشافعى إلى أنه لا حقيقة له ، وإنما هو تمويه وتخييل وإيهام وضرب من الخفة والسرعة ، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : (سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عظيمٍ) ، أى أنهم خدعوا الناس بتخييلات لا حقيقة لها على نحو ما يصنع المشعوذون بخفة أيديهم ، واستدلوا أيضاً بقول الله فى سورة طه : (يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى)

ولم يقل جَلَّ شأنه : تَسْعَى على الحقيقة ، ولكن قال : يُخيَّل إليه . وذهب الشافعى إلى أن السحر تمريض لا تخييل ، كما يؤثِّر المتثائب فى مقابله أو منْ يجلس معه ويتحدث إليه ، وكأنه فى رأى الإمام الكبير وسوسة وأمراض ، أو قل بِلغة علم النفس الحديث : تأثيرات نفسية ، وكأنه يرى أن لا حقيقة له . أما أهل السنة فذهبوا إلى أنه حقيقة ، لذكر الله إياه فى القرآن ، ولقوله فى آية سورة البقرة : ﴿ولَكِنَّ الشَّيَاطِين كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْر﴾ ، وقالوا لو لم تكن له حقيقة لما أمكن تعليمه ولا قال الله إن الشياطين يعلمونه الناس . وقد ردَّ الشيخ الجليل محمد عبده على هذه الحجة بأن الله تعالى قد ذكره يحكى اعتقادات المخاطبين ، وإن لم تكن صحيحة فى نفسها . وذكر القرطبى فى الآية أنه قيل إن المراد بالشياطين فيها شياطين الإنس المتمادون فى الضلال . وذكر بعض المحتجين للسحر بأن السبب فى نزول الآية ما قيل من أن يهود المدينة طلبوا إلى رجل منهم هو وبناته أن يسحروا الرسول عند رجوعه من غزوة الحديبية ، فأخذوا بعض أثره ودفنوه فى بئر ذروان وأثَّر فيه السحر ، كما زعم بعض الرواة ، فظهر له جبريل وأخبره بحقيقة الأمر ، فأرسل إلى البئر من أتاه بالأثر ، وزعموا أنه كان به إحدى عشرة عقدة بعدد آيات المعَوِّذَتَين ، وكأن ﴿النَّفَّاثَاتِ فِى الْعُقَدِ﴾ هن بنات هذا اليهودى الساحرات . وقد أنكر المعتزلة هذه القصة أشد الإنكار محتجين بأنه لو صحَّ ذلك لأفضى إلى القدح فى نبوة الرسول بتصديق الكفار فيما رواه القرآن عنهم إذ كانوا يقولون عن الرسول كما جاء فى سورتى الإسراء والفُرْقان : ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُورًا﴾ ، يريدون بذلك أنه مجنون زايله عقله بسبب السحر فترك دين آبائه . وقال المعتزلة أيضاً كيف

يمكن تأثير السحر فيه عليه السلام ، والله يقول فى سورة طه : (وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) ويقول للرسول فى سورة المائدة قولاً ، لا يمكن نقضه : (واللهُ يعْصِمُكَ من النَّاسِ) . ومن الخطإ البَيِّن أن نعارض ما يقوله القرآن فى عصمته بقصة مروية غير وثيقة ، بل إنها واضحة الزَّيْف والبطلان. وحاول الزمخشرى أن يبقى على ظاهر الآية ، وأوَّل الاستعاذة من النساء النفَّاثات فى العقد بأحد وجوه ثلاثة : إما أنه يستعاذ من عملهن وإثمهن فيه ، وإما أنه يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وخداعهن ، وإما أنه يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن . ويجد الزمخشرى على ضوء آراء أصحابه من المعتزلة حلَّين للآية ينفيان عنها فكرة السحر والسحرة والساحرات، فقال يجوز أن يكون المراد بالنفاثات فى العقد النساء الكيَّادات أخذا مما جاء عنهن فى سورة يوسف : من أنَّ كَيْدَهُن عظِيم تشبيهاً لكيدهن بالسحر والنفث فى العُقد . ويجوز أن يكون المراد بهن النساء اللائى يفتنَّ الرجال بتعرضهن لهم وعرْضهن محاسنهن عليهم، كأنهن يسحرنهم بذلك وكأنما يستلهم الزمخشرى فى هذا الرأى ما يتردد على ألسنة الناس قديماً وحديثاً من وصف جمال المرأة المغرى بأنه ساحر ، وكأن القرآن الكريم استعار صورة الساحرات التى كانت لاصقة بنفوس العرب للتعبير بها عن الفاتنات اللائى ينفثن فتنتهن فى الرجال ، وقد سمَّى الرسول عليه السلام الجمال والبلاغة فى الكلام سحرًا ، فقال : « إن من البيان لسحرًا » . أما الشيخ الجليل محمد عبده فذهب فى الآية إلى أن النفَّاثات جمع نفَّاثة كعلاَّمة وفهَّامة ، والمراد النمَّامون المقطِّعون لروابط الألفة المحرِّفون لها بما يلقون عليها من ضِرام نمائمهم ، يقول : « وإنما جاءت العبارة كما فى الآية لأن الله جَلَّ شأنه أراد أن

يشبِّههم بأولئك السحرة المشعوذين الذين إذا أرادوا أن يحلّوا عقدة المحبة بين المرء وزوجه مثلا فيما يوهمون به العامة عقدوا عقدة ثم نفثوا فيها وحَلّوها ليكون ذلك حلاً للعقدة التى بين الزوجين ، والنميمة تشبه أن تكون ضرباً من السحر ، لأنها تحوِّل ما بين الصديقين من محبة إلى عداوة بوسيلة خفية كاذبة ، والنميمة تضلِّل وجدان الصديقين كما يضلل الليل من يسير فيه بظلمته ، ولهذا ذكرها عقب ذكر الغاسق إذا وقب . وقد ظن قوم أن للسحر أصلاً حتى قالوا إن منه ما يُبْنَى على تأثير الكواكب وخصائصها أو على تأثير الاتصال بالشياطين ووسوستها أو على استحضار الجنّ بالعزائم والرُّقى . وفى الحديث النبوى نهى شديد عن السحر حتى ليجعل الساحر آبقاً من الدين ، إذ يقول عليه السلام : «مَنْ عَقَد عُقْدة ثم نفَث فيها فقد سحر ، ومَنْ سحر فقد أشرك» . وما كان الإسلام ليبقى على خرافة السحر ، وقد أعلن حرباً لا هوادة فيها على كل خرافة وارتقى بالعرب إلى المستوى العقلى اللائق بكمال النوع الإنسانى بحيث أصبحوا لا يخضعون لسوى العقل والمنطق فى شئونهم الدينية والدنيوية ، وبحيث أصبحوا أمة مشغوفة بالعلم قد اجْتُثَّ من نفوسها كل ما كان متأصلا فيها من خرافة وإيمان بالخرافة .

(ومنْ شَرِّ حَاسِدٍ إذا حَسَدْ) :

الحسد أن يتمنى الشخص أن يزول عن الآخرين ما هم فيه من نعمة ، أما تمنى مثلها دون تمنى زوالها فليس حسدًا ، إنما هو غبطة ومنافسة ، وهما مباحان ، وفى الحديث : «المؤمن يَغْبِطُ والمنافق يحسد» . وقد تسمى

الغبطة حسدًا . وحينئذ يكون الحسد محمودًا كما فى الحديث : « لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسُلِّطَ على هُلكته فى الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يَقْضِى بها ويعلّمها » . وهذا ليس حسدًا بالمعنى السيِّئ ، وإنما هو غبطة ، ومن أجل ذلك وضعه البخارى فى باب الاغتباط فى العلم والحكمة . وحقيقة الغبطة ، كما أسلفنا ، أن تتمنى أن يكون لك ما لأخيك من الخيرات والنعم دون التعلق بزوالها عنه ، وعبَّر عن ذلك أبو تمام فقال : « وما حاسدٌ فى المكرمات بحاسد » . أما الحسد الحقيقى فمذموم أشد الذم إذ يحسد صاحبه الناس على ما آتاهم الله من فضله ، فيعترض بذلك على ربه ، ويتدخل فى القضاء وهولا يملك تعديله ، فيعيش مغموماً : نَفَسٌ دائم وحزن لازمٌ وهَمٌّ مقيم لا يبرح . وهو أول ذنب عُصِى الله به فى السماء والأرض ، أما فى السماء فحسد إبليس آدم حسدًا جعله لا يسجد له ، فطرده الله من الجنة وكتب عليه اللعنة إلى يوم القيامة ، وأما فى الأرض فحسد قابيل أخاه هابيل حسدًا جعله يقتله . وبذلك كان إبليس أول من سَنَّ الكفر وقابيل أول من سَنَّ القتل بسبب الحسد وضغنه ، وفى الحديث : « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » . وشرُّه الذى أشارت إليه الآية إنما يكون حين يحمل صاحبه على إيقاع الشر بمحسوده بالفعل على نحو ما قتل قابيل هابيل أو بالقول كإنكار فضلٍ على نحو ما أنكر إبليس فضل آدم . ويدخل فيه تتبع المساوئ وطلب العثرات . وفى الحديث : « ثلاث لا يستجاب دعاؤهم : آكل الحرام ومكثر الغَيْبة ومَنْ كان فى قلبه غلٌّ أو حسد للمسلمين » . وقانا الله شر الحاسدين .

فهرس تحليلي

صفحة

مقدمة ٧ — ١١

فاتحة الكتاب ١٣ — ٢٨

١ — الحمد والشكر ١٥
٢ — رعاية الله للعالم ١٧
٣ — كل ما فى العالم دليل على قدرة الله وحكمته ١٨
٤ — ربوبية الله تقوم على الرحمة ١٩
٥ — صاحب الأمر وحده فى الأولى والآخرة ٢١
٦ — ركن العمل والعبادة فى الإسلام ٢٣
٧ — الاستعانة والتوكل ٢٥
٨ — مشيئة الله ومشيئة الإنسان ٢٦
٩ — سؤال الله الهدى والرشاد ٢٧

سورة الرحمن ٢٩ — ١٦٣

١ — موضوعاتها وتكرار (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ١
٢ — الرحمة أبرز صفات الله فى القرآن ٣٥
٣ — دحض ادعاء شيوع القسوة وشدة الانتقام فى القرآن ٣٦
٤ — القرآن متمم للشرائع السابقة ٣٨
٥ — الإسلام الدين السماوى النهائى للبشرية عامة ٤٠
٦ — المتشابه فى القرآن ٤٢
٧ — خلق الإنسان وقوانينه ٤٤
٨ — الدعوة إلى العلم والتعلم ٤٦
٩ — نعمة البيان ٤٨
١٠ — بيان القرآن وبلاغته ٤٨
١١ — الشمس والقمر ونظامهما الكونى المحكم ٤٩
١٢ — سجود الكائنات اختياراً أو تسخيراً وانقياداً ٥٢
١٣ — كل ما فى السماء مسخر لمنفعة الإنسان ٥٣
١٤ — العدل قانون قائم فى نظام الكون وتركيب الحياة ٥٤
١٥ — العدل فى الكيل والميزان ٥٨
١٦ — العدالة الإلهية فى الجزاء والثواب والعقاب ٥٨
١٧ — تذليل الأرض للإنسان بكل ما فيها من طيبات ٦٠
١٨ — شكر الله على نعمه وآلائه ٦١

صفحة

١٩ – خلق آدم ٦٣
٢٠ – سجود الملائكة له تكريماً ، وطبيعتهم وصلاتهم بالإنسان . . . ٦٤
٢١ – عصيان آدم لربه وهبوطه من الجنة إلى الأرض ٦٥
٢٢ – عصيان إبليس لربه وعقابه ، وطبيعته وطبيعة الجن ٦٦
٢٣ – الجن مكلفون ٦٦
٢٤ – رب المشرقين ورب المغربين ٦٧
٢٥ – ما بين المياه الملحة والعذبة من حجاب دال على قدرة الله . . . ٦٩
٢٦ – اللؤلؤ والمرجان ومتعة الإحساس بالجمال ٧١
٢٧ – نعمة مسيرة الفلك فى البحار ٧٣
٢٨ – فناء الإنسان مستقر فى طبيعته ٧٥
٢٩ – النشأة الأخروية للإنسان مطابقة فى تدرجها للنشأة الدنيوية . . . ٧٦
٣٠ – عذاب القبر ونعيمه ٧٧
٣١ – البعث بالأجساد والأرواح معاً ٧٧
٣٢ – وجه الله : ذاته العلية ٧٨
٣٣ – ذو الجلال والإكرام ٧٩
٣٤ – سؤال الملائكة ربهم المغفرة للناس ٨١
٣٥ – سؤال الناس ربهم وتضرعهم إليه ٨٢
٣٦ – الشئون المتصلة بالله ٨٤
٣٧ – ضرورة البعث ٨٥
٣٨ – النفخ فى الصور ٨٥
٣٩ – لا وزر ولا ملجأ من الله يوم القيامة ٨٧
٤٠ – عذاب الكفار بلهيب النار وبدخان يخنق الأنفاس ٩٠
٤١ – انشقاق السماء وذوبانها – انقلاب ضخم فى الكون ٩٢
٤٢ – النشأة الثانية أو النشأة الجديدة للإنسان والكون ٩٣
٤٣ – مواجهة كل إنسان بعمله ٩٥
٤٤ – عذاب أهل النار – طعامهم وشرابهم ٩٧
٤٥ – العذاب بزمهرير الثلج ١٠٣
٤٦ – خلود الكفار فى النار – لا يخلد فيها المذنبون من المؤمنين . . . ١٠٤
٤٧ – العذاب النفسى مع العذاب الحسى ١٠٧
٤٨ – الخوف والرجاء والوجل ١٠٩
٤٩ – وصف الجنة – عدد الجنات وأسماؤها – جنتا عدن والنعيم . . . ١١١
٥٠ – حكم الجن حكم بنى آدم ثواباً وعقاباً ١١٧
٥١ – وصف جنتى عدن والنعيم ١١٨

صفحة

٥٢ ــ شراب أهلهما ١٢٠
٥٣ ــ قانون التزاوج فى الخلق ١٢٤
٥٤ ــ فرش أهل عدن والنعيم وطعامهما ١٢٦
٥٥ ــ قاصرات الطرف ــ وصفهن ١٢٩
٥٦ ــ وصف جنتى الفردوس والمأوى ١٣٤
٥٧ ــ نعيم الجنان ومبالغات السلف فى تصوره ١٣٩
٥٨ ــ عيون وأنهار ١٤١
٥٩ ــ فواكه مختلفات ١٤٤
٦٠ ــ الخيرات الحسناوات ــ الحور العين ١٤٧
٦١ ــ المتاع الأخروى غيبى لا تحيط به الأسماء والأوصاف . . . ١٤٩
٦٢ ــ الإنس لا يعاشرون الجن ١٥٥
٦٣ ــ من نعيم الفردوس والمأوى ١٥٦
٦٤ ــ نعم وآلاء نفسية رفيعة ١٦٠
٦٥ ــ لقاء الله ورؤيته ١٦١

سورة الملك ١٦٤ ــ ٢٣٨

١ ــ نعت التقديس والتنزيه ١٦٧
٢ ــ قدرة الله وقدرة الإنسان ١٦٨
٣ ــ خلق الموت ــ هل الموت عدم ؟ ١٧٠
٤ ــ تعليل أفعال الله بمصالح الناس ١٧٢
٥ ــ الأعمال الحسنة ١٧٣
٦ ــ العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ١٧٣
٧ ــ العقاب والثواب ١٧٤
٨ ــ غاية خلق الإنسان ١٧٤
٩ ــ خلق السموات ودقة النظام الكونى ١٧٥
١٠ ــ جمال السماء ١٧٩
١١ ــ الشياطين واستراقهم السمع ــ شياطين الإنس ١٨٠
١٢ ــ أنواع الكفر ١٨٥
١٣ ــ صفات جهنم ١٨٦
١٤ ــ الزبانية ملائكة العذاب : وصفهم وعددهم ١٨٨
١٥ ــ عدل الله فى العقاب بعد الإعذار بالرسل ١٩٠
١٦ ــ الأدلة السمعية والعقلية على وجود الله وقدرته ١٩٢
١٧ ــ النظر العقلى فى آيات الله الكونية ١٩٤

صفحة

١٨ – الخشية والخوف – المغفرة ١٩٥
١٩ – علم الله وتضمنه اللطف والحكمة ١٩٨
٢٠ – تسخير الله الأرض للإنسان ٢٠١
٢١ – الرزق والتوكل والاكتساب ١٠٣
٢٢ – تنزيه الله عن الأماكن والحدود والجهات ٢٠٥
٢٣ – حاصب من السماء – أنواع العقاب للأمم الخالية ٢٠٧
٢٤ – الطير فى السماء من آيات الله الكونية ٢١٢
٢٥ – لا عاصم للكفار من الله ٢١٤
٢٦ – الرزق والحلال والحرام – والرضا ٢١٦
٢٧ – مثل الكافر والمؤمن ٢١٩
٢٨ – نعمة السمع والأبصار والأفئدة ٢٢٢
٢٩ – المعاد ٢٢٥
٣٠ – أمارات الساعة ٢٢٧
٣١ – علم الغيب مقصور على الله ٢٢٩
٣٢ – سواد وجوه الكفار يوم القيامة ٢٣١
٣٣ – تمنى الكفار للرسول وصحبه الموت والهلاك ٢٣٣
٣٤ – لابد مع التوكل من العمل والكسب ٢٣٥
٣٥ – نعمة الماء من أعظم النعم على الإنسان ٢٣٧

سورة التكوير ٢٣٩ – ٢٨٦

١ – تكوير الشمس ٢٤١
٢ – انكدار النجوم ٢٤٤
٣ – تسيير الجبال وذكها حتى تصبح هباء ٢٤٦
٤ – تعطل النوق العشار وإهمالها أو تعطل السحب من الأمطار ٢٤٨
٥ – الوحوش تهيم على وجوهها من شدة الهول ٢٤٩
٦ – فيضان البحار واضطرامها بالنار ٢٥٠
٧ – النفس والروح – اقتران النفوس بالأبدان فى المعاد ٢٥٢
٨ – قضية الموءودة أمام الله ٢٥٥
٩ – نشر صحف الأعمال أمام الناس ٢٥٧
١٠ – انكشاف حجاب السماء ٢٥٩
١١ – اضطرام الجحيم بالنيران الموقدة ٢٦١
١٢ – دنو الجنة إلى المؤمنين ٢٦٢
١٣ – كل شخص وما قدمت يداه ٢٦٣

صفحة

١٤ ــ قسم الله بالكواكب والأجرام السماوية ٢٦٥
١٥ ــ قسم الله بالليل فى انكشافه عن الآفاق وبالصباح فى انبثاق أضوائه . . ٢٦٧
١٦ ــ القرآن أداه ملاك كريم ٢٦٩
١٧ ــ وصف جبريل بالقوة وبطلان ما صورته به الإسرائيليات . . . ٢٧٢
١٨ ــ مكانة جبريل عند ربه وفى الملأ الأعلى وأمانته ٢٧٤
١٩ ــ نفى افتراءات المشركين على الرسول وصدقه فى رؤيته لجبريل . . . ٢٧٤
٢٠ ــ صور الوحى الإلهى ٢٧٥
٢١ ــ أمانة الرسول فى أدائه رسالته وتبليغها إلى الناس ٢٧٩
٢٢ ــ صدق الرسالة ٢٧٩
٢٣ ــ عالمية الإسلام ٢٨٢
٢٤ ــ الإسلام دين الفطرة ٢٨٤
٢٥ ــ المشيئة الإلهية والمشيئة الإنسانية ٢٨٤

سورة الأعلى ٢٨٧ ــ ٣١٧

١ ــ تنزيه الله فى ذاته وصفاته وأفعاله وعبادته ٢٨٩
٢ ــ أسماؤه الحسنى ٢٩٠
٣ ــ علوه ليس علو جهة ومكان ؛ وإنما علو ألوهية واستحقاق لنعوت الجلال . . ٢٩١
٤ ــ إبداع الكون وتسوية خلق كل شىء فيه بإبداعه صورته وخواصه . . . ٢٩٢
٥ ــ إعطاء كل شىء القدرة على بقائه والتطور به طوراً بعد طور ثم الهداية لما فيه بقاؤه ونفعه ٢٩٤
٦ ــ كل شىء فى الدنيا إلى فناء كالنبات يذوى بعد الحياة ويصبح هشيماً . . ٢٩٦
٧ ــ وعد الله لرسوله بأنه لن ينسى ما يتلوه عليه جبريل من القرآن وأنه متم عليه رسالته . ٢٩٨
٨ ــ السر فى نشر القرآن للغة الضاد فى البلاد الإسلامية وحفظها . . . ٣٠٠
٩ ــ الإسلام بنى على اليسر ٣٠١
١٠ ــ الرخص فى الدين ــ الإباحة هى الأصل ــ الضرورات تبيح المحظورات . . ٣٠٢
١١ ــ الخشية والخوف والرجاء ــ الخشية فى تلاوة القرآن ٣٠٥
١٢ ــ خلود الكفار فى النار ٣٠٨
١٣ ــ الفلاح الأخروى وأدواته من طهارة النفس والصلاة ٣٠٩
١٤ ــ إيثار الدنيا على الآخرة ٣١٠
١٥ ــ إيثار الآخرة ٣١١
١٦ ــ وحدة الشرائع الإلهية فى أصول العقيدة ٣١٤
١٧ ــ الاختلاف فى الفروع بحكم تجدد الأوضاع فى الجماعات ٣١٥
١٨ ــ الشريعة الإسلامية شريعة عامة للبشر جميعاً ٣١٦

صفحة

سورة الشمس ٣١٩ — ٣٤٠

١ — القسم بالشمس وضحاها ودلالتهما على قدرة الله وحكمته . . . ٣٢١
٢ — القسم بالقمر ودلالته على كمال القدرة الربانية ٣٢٣
٣ — القسم بالنهار والليل إشارة إلى أنهما معاش للناس وراحة . . . ٣٢٥
٤ — القسم بالسماء وبنائها والأرض وتذليلها إشارة إلى تسخيرهما للناس . . ٣٢٧
٥ — القسم بالنفس شاملة الجسد وكمالها فى الخلق والتسوية والتقدير . . . ٣٣٠
٦ — العقل هبة إلهية للتمييز بين الخير والشر ٣٣١
٧ — الترغيب فى الطاعة والتنفير من المعصية ٣٣٣
٨ — التفكر فى الدمار الذى أصاب الأمم السالفة المكذبة للرسل . . . ٣٣٦
٩ — تكذيب ثمود لرسولهم صالح عليه السلام ٣٣٦
١٠ — ناقته آية صدقه ٣٣٧
١١ — عقرقومه للناقة ونزول الدمار بهم والنكال ٣٣٨
١٢ — عقاب إلهى عادل جزاء العتو والطغيان ٣٣٩

سورة العصر ٣٤١ — ٣٥٢

١ — العصر والرد على الدهريين ٣٤٣
٢ — الخسران المعنوى الناشئ عن الكفر والضلال ٣٤٥
٣ — أنواع الأعمال الصالحة ٣٤٧
٤ — صنوف الحق ٣٤٨
٥ — أقسام الصبر ٣٥١
٦ — الصبر فى جهاد الأعداء ٣٥١

سورة الماعون ٣٥٣ — ٣٦٧

١ — صفات الكافر : تكذيب المعاد والجزاء ٣٥٥
٢ — جفوة اليتيم ٣٥٧
٣ — لا يبر المسكين ٣٥٩
٤ — آداب القرض الحسن ٣٦٠
٥ — صفات المنافقين ٣٦٢
٦ — سهو المنافقين عن الصلاة ٣٦٤
٧ — رياء المنافقين ضرب من الشرك ٣٦٥
٨ — الشح والبخل الشديد ٣٦٦

صفحة

سورة الإخلاص ٣٦٩ — ٣٨١

١ — هو: من أسماء الله عند الصوفية ٣٧١
٢ — أحدية الله فى الذات والصفات والأفعال والعبادة ٣٧٢
٣ — دعاء الله وآدابه ٣٧٧
٤ — الله لا تجوز عليه الولادة ولا اتخاذ الأولاد ٣٧٩
٥ — تنزيه الله عن المثيل والنظير ٣٨٠

سورة الفلق ٣٨٣ — ٣٩٦

١ — الاستعاذة برب الوجود ٣٨٥
٢ — شر المخلوقات جميعاً فى الدنيا والآخرة ٣٨٨
٣ — شرور الليل الداجى ٣٩٠
٤ — حقيقة السحر ٣٩٢
٥ — إنكار سحر الرسول ٣٩٣
٦ — النفاثات فى العقد ٣٩٤
٧ — الحسد نوعان : محمود ومذموم ٣٩٥

كتب للمؤلف مطبوعة بالدار

فى الدراسات القرآنية

- **الوجيز فى تفسير القرآن الكريم**
  الطبعة الأولى ١٠٥٢ صفحة
- سورة الرحمن وسور قصار
  عرض ودراسة
  الطبعة الثالثة ٤٠٤ صفحات

فى تاريخ الأدب العربى

- **العصر الجاهلى**
  الطبعة السابعة عشرة ٤٣٦ صفحة
- **العصر الإسلامى**
  الطبعة الرابعة عشرة ٤٦١ صفحة
- **العصر العباسى الأول**
  الطبعة الثانية عشرة ٥٧٦ صفحة
- **العصر العباسى الثانى**
  الطبعة التاسعة ٦٥٧ صفحة
- **عصر الدول والإمارات**
  الجزيرة العربية-العراق-إيران
  الطبعة الثالثة ٦٨٨ صفحة
- عصر الدول والإمارات
  الشام
  الطبعة الثانية ٣٥٦ صفحة
- **عصر الدول والإمارات**
  مصر
  الطبعة الثانية ٥٠٠ صفحة
- عصر الدول والإمارات
  الأندلس
  الطبعة الثانية ٥٥٢ صفحة
- **عصر الدول والإمارات**
  ليبيا - تونس - صقلية
  الطبعة الأولى ٤٤٦ صفحة

فى مكتبة الدراسات الأدبية

- **الفن ومذاهبه فى الشعر العربى**
  الطبعة الحادية عشرة ٥٢٤ صفحة
- **الفن ومذاهبه فى النثر العربى**
  الطبعة الحادية عشرة ٤٠٠ صفحة
- **التطور والتجديد فى الشعر الأموى**
  الطبعة التاسعة ٣٤٠ صفحة
- **دراسات فى الشعر العربى المعاصر**
  الطبعة التاسعة ٢٩٢ صفحة
- **شوقى شاعر العصر الحديث**
  الطبعة الثالثة عشرة ٢٨٦ صفحة
- **الأدب العربى المعاصر فى مصر**
  الطبعة العاشرة ٣٠٨ صفحات
- **البارودى رائد الشعر الحديث**
  الطبعة الخامسة ٢٣٢ صفحة
- **الشعر والغناء فى المدينة ومكة لعصر بنى أمية**
  الطبعة الخامسة ٣٣٦ صفحة
- **البحث الأدبى:**
  طبيعته- مناهجه-أصوله-مصادره
  الطبعة السادسة ٢٧٨ صفحة
- **الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور**
  الطبعة الثانية ٢٥٦ صفحة
- **فى التراث والشعر واللغة**
  الطبعة الأولى ٢٧٦ صفحة

فى الدراسات النقدية

- **فى النقد الأدبى**
  الطبعة الثامنة ٢٥٠ صفحة
- **فصول فى الشعر ونقده**
  الطبعة الثالثة ٣٦٨ صفحة

فى الدراسات البلاغية واللغوية

- البلاغة: تطور وتاريخ
  الطبعة الثامنة ٣٨٠ صفحة
- المدارس النحوية
  الطبعة السابعة ٣٧٦ صفحة
- تجديد النحو
  الطبعة الثالثة ٢٨٢ صفحة
- تيسير النحو التعليمى قديمًا وحديثًا مع نهج تجديده
  الطبعة الثانية ٢٠٨ صفحات
- تيسيرات لغوية
  الطبعة الأولى ٢٠٠ صفحة

فى مجموعة نوابغ الفكر العربى

- ابن زيدون
  الطبعة الحادية عشرة ١٢٤ صفحة

فى مجموعة فنون الأدب العربى

- الرثاء
  الطبعة الرابعة ١١٢ صفحة
- المقامة
  الطبعة الخامسة ١٠٨ صفحات
- النقد
  الطبعة الخامسة ١١٢ صفحة
- الترجمة الشخصية
  الطبعة الرابعة ١٢٨ صفحة
- الرحلات
  الطبعة الرابعة ١٢٨ صفحة

فى التراث المحقق

- المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد
  الجزء الأول – الطبعة الرابعة ٤٦٨ صفحة
  الجزء الثانى – الطبعة الثالثة ٥٧٢ صفحة
- كتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد
  الطبعة الثالثة ٧٨٨ صفحة
- كتاب الرد على النحاة
  الطبعة الثالثة ١٥٢ صفحة
- الدرر فى اختصار المغازى والسير
  لابن عبد البر
  الطبعة الثالثة ٣٥٦ صفحة

فى سلسلة «اقرأ»

- العقاد — الطبعة الخامسة
- البطولة فى الشعر العربى — الطبعة الثانية
- الفكاهة فى مصر — الطبعة الثانية
- معى (١) — الطبعة الثانية
- معى (٢) — الطبعة الأولى